سلسلة اعمل بعلمك

الشرح التربوي

لامية ابن الوردي

تراث المعاصر

لامية ابن الوردي

تراث المعاصر

الشرح التربوي

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

المشرف العام

على مؤسسة أهل القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

لامية ابن الوردي

الناظم: هو زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الوردي الحلبي الأديب المؤرخ الفقيه الشافعي، نسبه ينتهي إلى أبي بكر الصديق ﷺ، ولد بمعرة النعمان سنة ٦٨٩هـ، وأخذ عن البارزي صاحب متن الزبد المنثور وعن ابن تيمية، وولي القضاء، ثم عزل نفسه،وتوفي بحلب بالطاعون سنة ٧٤٩هـ.

المنظومة: قرابة ثمانين بيتًا، من بحر الرَّمَل، مشهورة بـ (لامية ابن الوردي)، ونظمه فائق الجودة، وقد نظم الحاوي الصغير بغالب ألفاظه في البهجة الوردية في خمسة آلاف وثلاثة وستين بيتًا، وله ألفية في تعبير الأحلام، قال السبكي: "شعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمة من الجوهر"، وقال ابن قاضي شُهْبَة: "أسحر من عيون الغيد، وأبهى من الوجنات ذوات التوريد".

التعليق: هو تعليق تربوي أُبين فيه الوصايا التي أوصى بها الناظم، وأوضح أهميتها، ثم أشرح كيفية الاستفادة منها، والسبل الموصلة إليها، وقد بلغت أربع نصائح، وعشر وصايا.

لاميَّة ابن الوَردي

١-اعتزلْ ذِكرَ الأغـــــاني والغَزَلْ * وقُلِ الفَصْلَ وجانبْ مَـــنْ هَزَلْ**

النصيحة الأولى: أن تبتعد عن العبث، فلا تعبث بسمعك بسماع الأغاني، ولا بقلبك بلهو العشق والغزل، ولا بلسانك بقول السفه والهزل، فإن سألت: عن الذي يعينك على أن تكون قويًا تنفصل عما سبق:

٢-ودَعِ الذِّكـــــــــرَ لأيامِ الصِّبا * فلأيامِ الصِّبـــــا نَجـــــــمٌ أفَلْ**

فالجواب: أن تعلم أن محل لهوك ولعبك وعبثك قد مر وانتهى في أيام صباك وصغرك، وأنك الآن تُسأل وتحاسب.

٣-إنْ أهنا عيـــشةٍ قضـــــيتُها * ذهبـــــــتْ لذَّاتُها والإثْمُ حَـــلّ**

وأن تعلم أن أجمل لعب استمتعت به: ذهبت لذته وانقضت فلا تجد لها متعة، وبقي عليك وزرها وإثمها، وقد سودت به صحيفتك .

٤-واترُكِ الغادَةَ لا تحفـــــــلْ بها * تُمْـــــسِ في عِزٍّ رفيـــــــــعٍ وتُجَلّ**

والنصيحة الثانية: أن تترك التفكير في مفاتن الجميلات المائلات، فلا تجمع همك في تمني وصالهن؛ لتشغل فكرك وأمانيك بأعمال تعزك دنيا ودين، وترفع ذكرك، وتجل مقامك.

٥-وَالـهَ عن آلات لهـــوٍ أَطـــرَبت * وعـن الأمـرد مرتـجِّ الكَـفَـــلْ**

وأن تعرض وتنشغل بما ينفعك عن اللهو بآلات العزف والطرب، وعن التفكير في حسن المردان، الذين إذا تحرك أحدهم اهتز معه عجزه؛ من شدة نعومته.

٦-إن تبدى تنكسِفْ شمسُ الضحى * وإذا ما مـاسَ يُـزرِي بالأَسَـلْ**

وإذا ظهر جميل وجهه عليك كسف شمس الضحى من شدة بياضه وصفائه، وإذا مشى وتبختر أمامك احتقرت اهتزاز الرماح إذا اهتزت من شدة تمايله وليونته.

٧-زاد إن قِسـناهُ بالبـدرِ سَـــــناً * أو عَدْلَـناهُ بغصـنٍ فاعـتدلْ**

وإذا ضحك زاد في قلبك على جمال البدر وسنا ضوئه إن قسته به؛ من شدة جماله، وإذا تفكرت في قوامه فإذا به على مثل قوام الغصن الرفيع من شدة رشاقته، فإن سألت: فما السبيل لقطع هذه العلائق المضرة التي تعلق قلبي بها:

٨-وافتكرْ في منتهى حُسنِ الذي * أنتَ تهـــــواهُ تجـــدْ أمراً جَلَلْ**

فالجواب: أن تتفكر في عاقبة جسد ومفاتن من تهواهم إذا علاهم التراب، ونخر منهم العظم، وأُكلِت منهم العينان، ورتع فيهم الدود، أو تتفكر في حال أجسادهم إذا تخللهم دخان النار، وتفحموا بلهب جهنم ستجد أمرًا عظيمًا يردعك عن الحرام، ويقطع تفكيرك عنه.

٩-واهجُرِ الخمرةَ إنْ كنـــتَ فتىً * كيفَ يسعى في جُنونٍ مَنْ عَقَلْ**

والنصيحة الثالثة: أن تتجنب إدمان ما يضرك، وتقطع مجلسًا يغطي عقلك، حتى يُصيّرك إلى نشوة من لا عقل له، ولا إرادة عنده، فهل ترضى بعد العقل بالجنون! فإن سألت: فما الذي يعيني على قطعه هذا الإدمان، وهجر تلك المجالس؟:

١٠- واتَّقِ اللهَ فتقـــــوى الله مـــا * جاورتْ قلبَ امريءٍ إلا وَصَـلْ**

عليك بالخوف من الله عز وجل، واتقاء عذابه، فكيف تلقى ربك إذ ميزك بعقل فغيبته، وبمال فضيعته، وبعمر فأهدرته، عمّر قلبك بتقوى الله وتذكر لقاءه وستوصلك لكل خير، وتجنبك كل شر.

١١- ليسَ منْ يقـــطعُ طُرقاً بَطلاً * إنما منْ يتَّقـــي الله البَـــطَلْ**

ثم اعلم أيضًا أن الرجولة الحقيقية ليست في أذية الناس والاعتداء على أموالهم وأنفسهم، إنما البطل الحقيقي من يحمل نفسه على مرضاة الله وتقواه، وينتصر على هواه.

١٢- صدِّقِ الشَّـــرعَ ولا تركـنْ إلى* رجـلٍ يرصد في الليل زُحـــلْ**

والنصيحة الرابعة: سلّم للشرع اعتقادًا وعملاً، ولا تغرك إرهاصات من يقودك للضلال والحيرة والشك؛ من ملحدين ودجالين ومنجمين، فإن سألت فما السبيل لذلك:

١٣- حارتِ الأفكارُ في حكـمةِ مَنْ * قد هـــــدانا سبْلنا عزَّ وجَلْ**

أما تسليم قلبك للشرع اعتقادًا: فأعلمه أنه يعجز عن إدراك حكمة الرب الحكيم سبحانه، فالأسلم له أن ينقاد لحكم الله تعالى؛ ليقوده لكل خير وهدى؛ علمه أو جهله.

١٤- كُتبَ المـــوت على الخَلقِ فكمْ * فَلَّ من جيشٍ وأفنى مـــن دُوَلْ**

وأما إن أردت تسليم جوارحك للشرع عملاً: فذكّرها مفاجأة الموت؛ إذا رماك الله به، فكم من جيش قوي أباده، وكم من دول عظمى أفناها، وتذكر:

١٥- أينَ نُمـــرودُ وكنـــعانُ ومـــنْ * مَلَـــكَ الأرضَ وولَّى وعَـــزَلْ**

ملوك ملكوا الأرض، وولوا وعزلوا، ثم ولوا وعزلوا، ثم تولوا ورحلوا وتذكر:

١٦- أين عـــــادٌ أين فرعـــونُ ومـن* رفعَ الأهـــــرامَ من يسمعْ يَخَلْ**

حضارات سادت قرونًا، سكنت جبالاً، وبنت أهرامًا، فما عصمتها من موت !، من يسمع أخبارهم يحسب أنهم خُلِّدوا وما ماتوا، لكنهم ماتوا ورحلوا، وتذكر:

١٧- أينَ من ســـــادوا وشادوا وبَنَوا * هَلَكَ الكـــــلُّ ولم تُغنِ القُلَلْ**

أين من ساد الناس، وشاد القصور العالية، وبنى الحصون المنيعة التي تحميهم، ثم هلكوا جميعًا، وبقت بعدهم، شاهدة أنها لم تغن عنهم شيئًا، بل وتذكر:

١٨- أينَ أربابُ الحِجَى أهـــلُ النُّهى * أينَ أهـــــلُ العلمِ والقومُ الأوَلْ**

علماء وعقلاء ألفوا واخترعوا، ومدحوا بذكائهم وعقولهم، فما دفعوا عنهم الموت بحيلة، ولا نجوا منه، تذكر هؤلاء جميعًا؛ لتعرف الحقيقة:

١٩- سيُعيدُ الله كـــــــــلاً منهـــمُ * وسيَجـــــزي فاعلاً ما قد فَعَلْ**

أن الله تعالى سيعيد الجميع؛ من حَكَم ومن حُكِم، من علم ومن جهل، وسيبدأ جزاء الجميع بما فعلوا؛ فيثيب من وافق شرعه، ويعاقب من أمره.

٢٠- إيْ بُنيَّ اسمعْ وصايا جَمـــــعتْ * حِكـــماً خُصَّتْ بها خيرُ المِللْ**

ثم أوصى ابنه – وأوصانا جميعًا – بوصايا وحِكم عظيمة جاءت ضمن نصوص الكتاب والسنة، التي حثنا على التمسك بها؛ اعتقاداً وعملاً:

٢١- أطلـــــبُ العِلمَ ولا تكسَلْ فما * أبعدَ الخيرَ عـــلى أهلِ الكَسَلْ**

الوصية الأولى: الحرص على طلب العلم والخير، وترك الكسل الذي يبُعد العبد عن هذه الرتب العلية، فإن سألت كيف أبلغ ذاك الحرص، واهجر هذا الكسل ؟:

٢٢- واحتفـــــلْ للفـقهِ في الدِّين ولا * تشتغلْ عنهُ بمـــــــالٍ وخَوَلْ**

فعليك أولاً أن تجمع همتك للاجتهاد في التفقه في الدين، وتعرض عن الصوارف عنه؛ من مال وخدم.

٢٣- واهجرِ النَّـــومَ وحصِّلهُ فمـــنْ * يعرفِ المطلوبَ يحـــ ما بَذَلْ**